الدكتور امين بك ابو خاطر

منذ خمس وخمسين سنة جاء المدرسة السكلية الاميركية في بيروت شاب في مقتبل العمر اسمر اللون حاد البصر على وجهه سيماء الذكاء وعزة النفس وابادة الضيم والرغبة في طلب العلم

كان ابوهُ قد توفي على اثر الحرب الأهلية التي نشبت في سورية سنة ١٨٦٠ ويقال ان الوصي على تركتهِ بددها فاضطر هذا الشاب ان يكون بين التلامذة الذين يعملون عملاً يقوم بنفقات تعليمهم. وهي افضل سنّة سنتها المدرسة السكلية لتلامذتها فقد ظهر لنا بالاستقراء ان التلامذة الذين اضطروا ان يعملوا عملاً يقوم بنفقاتهم نجحوا اكثر من الذين كان والدوهم في سعة فانفقوا عليهم. وكان اكثر عملهِ مع بعض التلامذة جمع فهرست التوراة والانجيل. فاتم سني الطلب في القسم العلمي والقسم الطبي وكان من الممتازين فيهما بين اترابهِ. وامتاز ايضاً في انهُ اتقن العربية وبرع في الانشاء نثراً ونظماً ولذلك استطاع ان يفيد بعلمهِ كتابة كما افاد بهِ عملاً فانحف المقتطف بمقالات كثيرة اولاها مقالة موضوعها الشعور الداخلي نشرت في الجزء الحادي عشر من المجلد الثالث الصادر في ابريل سنة ١٨٧٩ اي منذ ٤٣ سنة. وثانيتها في فسيولوجية الموت نشرت في الجزء الثاني من المجلد الرابع. وجعل يراسل المقتطف بعد ما انتقلنا بهِ الى القطر المصري فلهُ في المجلد العاشر سلسلة من المقالات في ادوار الحياة من الولادة الى الموت وعاد الى مواعاتهِ بالمقالات القيّمة بعد مجيئهِ هو الى القطر المصري. وعتاز كل ما كتبهُ بالانسجام وسهولة التعبير مع التدقيق العلمي والاعتماد على احدث ما وصل اليهِ العلم وادقهِ ولو خالف بعض المعتقدات

ولما نال الشهادة الطبية من المدرسة السكلية سعى الى الاستانة لينال الدبلوما السلطانية حسب عادة تلك الايام فاعجب الاساتذة الممتحنون بمهارتهِ واعطوهُ عنك لقب بك يطلب باركو باشا مدير المدرسة الطبية ورئيس لجنة الامتحان

واستوطن مدينة زحلة مسقط رأسهِ وجعل يمارس صناعة الطب فاظهر مهارة فائقة في تشخيص الامراض ومعالجتها حتى ان مشائخ العرب في البقاع وفلسطين

وبلادحص وحماه والجولان كانوا يستدعونهُ في الاحوال الخطرة على بعد المسافات. وكان اساتذتهُ واخوانهُ من كبار الاطباء مثل الدكتور فان ديك والدكتور بوست والدكتور بوايه والدكتور ديران يعترفون لهُ بالمقدرة الفنية ويعتمدون على آرائهِ . دعي الدكتور بوايه مرة الى زحلة لمريض في حالة الخطر فاستقبلهُ اهل المريض الى المحطة فسألهم من يعالج مريضكم قالوا الدكتور ابو خاطر فقال لماذا استدعيتموني اذاً فاني موافق على كل ما قررهُ

عُين طبيباً شرعيًّا لدى المحاكم في قضائي زحلة والبقاع فكان لتقاريرهِ القول الفصل وكانت اكبر مساعد لاكتشاف الجرائم . وكان عضواً في المجلس البلدي فبذل في هذا المنصب غيرة وطنية نادرة وجاهد في سبيل الاصلاح وقام بالمشروعات المفيدة . فانشئت بهمتهِ الطرق والمعارف وانشئت شركة افرنسية بهمتهِ لمد خط كهربائي يصل ما بين زحلة والبقاع وبعلبك لتسهيل المعاملات التجارية فقاومتهُ الحكومة وهددتهُ بالنفي. واهتم بالمشروع الذي يرمي الى اختراق جبل حمانة ومد خط السكة الحديد من بيروت الى زحلة رأساً فلقي معارضة شديدة من اهالي البقاع ومن الحكومة العثمانية. ولو تم هذا المشروع لعاد على البلاد السورية عموماً وعلى لبنان خصوصاً بفوائد جمة من الوجهة التجارية والاقتصادية ولكان لمدينة زحلة الآن اعظم مركز اقتصادي في لبنان الكبير

جاء مصر في اواخر سنة ١٩٠٦ مع عائلتهِ فذهب ضحية الازمة المالية وخسر معظم ثروتهِ ولكنهُ لم يكن شديد الاهتمام بالماديات بل كان همهُ الاكبر رفع المستوى الادبي فكان يعطف على الفقير ويأخذ بناصر الضعيف وكثيراً ما كان يعالج الفقراء مجاناً ويعطيهم ثمن الادوية . بكاهُ فقراء لبنان وسورية كما بكاهُ فقراء مصر . اسس المستوصف الشرقي في القاهرة لطائفة الروم الكاثوليك سنة ١٩٠٩ وتطوع لخدمة الفقراء فيهِ اطباء عديدون لم يثبت منهم سواهُ وكان اكبرهم سنًّا واضعفهم جسماً . واظب على معالجة المساكين وتخفيف آلامهم بهمة لا تعرف الملل حتى آخر ساعة من حياتهِ واظهر تفانياً لا مثيل لهُ . مرض سنة ١٩١٧ واعتلت صحتهُ فكف عن مزاولة الطب ولكنهُ أبى بتاتاً التخلي عن معالجة الفقراء فكان يقول لعائلتهِ ولاصدقائهِ الذين كانوا يشيرون عليهِ بالراحة : هذه هي لذتي

الوحيدة كيف اترك هؤلاء المساكين وهم ينظرون اليَّ نظرة المستغيث لا بد من ان تأتيني ساعة القدر وانا بين هؤلاء البؤساء . فكان لهُ ما تمنى

وفي اثناء الحرب وقف نفسهُ على الكشف عن المتطرعين اللبنانيين والسوريين فقدرت الحكومة الافرنسية خدماتهِ وجازتهُ بنيشان اوفيسيه داكاديمي

مؤلفاتهُ

لهُ من المؤلفات مغني اللبيب عن الطبيب — وهو كتاب طب عائلي اهتم بتأليفهِ مع رصيفهِ الدكتور داود ابو شعر واتم طبعهُ سنة ١٨٩٨ فشاع استعمالهُ كثيراً في سورية ولبنان لانهُ يرشد الى الاعتناء بصحة الاطفال والعائلة . ولهُ مقالات لا تحصى نشرت في جرائد مصر اليومية لاسيما المقتطم والاهرام والاخبار ولهُ مقالات عديدة نشرت في مجلة المقتطف كما تقدم في مواضيع مختلفة علمية وفلسفية واجتماعية واخلاقية وتاريخية وادبية وسياسية . وقد الف رواية استير مثلت في زحله سنة ١٨٨٥ وكان وقتئذٍ رئيس الجمعية الخيرية فيها وكان صندوقها فارغاً ودخلها من احسان المحسنين قليلاً فبذل العناية لزيادتهِ بطرق قانونية ثابتة فخلصها من الخراب وخدم الفقراء والمحتاجين . واعيد تمثيل هذه الرواية مراراً في زحله وبعلبك وغيرها

ولد الفقيد بمدينة زحلة في ٨ دسمبر سنة ١٨٥٤ وفاضت روحهُ فجأة وهو يعالج المرضى في المستشفى المذكور آنفاً صباح الرابع عشر من سبتمبر فكان لمماتهُ رنة حزن واسى في نفوس جميع عارفي فضلهِ ودفن عصر ذلك اليوم بعد ان ابَّن تأبيناً بليغاً نثراً ونظماً

وقد ترك زوجة من فضليات النساء وابنة وثلاثة شبان من الاذكياء النجباء ولهم ولاخوانهِ واصدقائهِ اكبر عزاء بانهُ عاش كريماً وخدم جيلهُ افضل خدمة بعلمهِ وعملهِ

فهي ذمة الله ايها الراحل الكريم والصديق العزيز والخل الوفي لقد صرت حيث تستطيع ان تعلم ما حرتَ فيهِ وحرنا فيهِ كلنا سر الحياة وما وراء هذا الجسد الفاني والعالم الكثير المتاعب